Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صلى الله عليه وسلم والأئمة المهديون قد استعملوهما، ولزموا سبيلهما، وسلكوا طريقهما؛ فأما ولسنا واجدين فيما في أيدينا من كلامهم استعمال السجع والغريب إلا في المواضع اليسيرة فهم أولى بأن يقتدى بهم، ويحتذى بمنهاجهم، ممن قد نبت في هذا الوقت من هؤلاء الذين ليس معهم من البلاغة إلا ادعاؤها، ولا من الخطابة إلا التحلي باسمها[1].

إن شأن السجع في ذلك شأن كل حلية صناعية متى تجاوزت الحد، عرفاً أو ذوقاً، غاض ماؤها وقل بهاؤها، وما أشبهه في الكلام بالملح في الطعام. قد نستغني عنه متى اقتضى ذلك المقام استغناءنا عن الملح في بعض الألوان، وقد نحرص عليه بقوة - إذا أردنا أن نخاطب العواطف ونستفز الهمم - حرْصنا على الملح في المشهيات، وقد نقف بهذا وذاك عند حد المألوف بحسب الأحوال والظروف..

السجع في العصر العباسي

لم يكن السجع في هذا العصر حديث النشأة أو طارئاً على الأساليب، وإنما هو حلية فطرية قديمة قدم النثر الفني؛ فالعربي سجاع بطبعه؛ ومن قديم رقصت نفسه على جرسه وفواصله قبل أن ترقص على أوزان الشعر وقوافيه؛ إذ كان المتنفس الوحيد لأهل البادية حينما تنفعل عواطفهم بالمؤثرات، وتجيش صدورهم بالخواطر.

فلما اهتدوا إلى الشعر لم يهجروه بالكلية، بل ظلوا يمارسونه على قلة وفي أضيق نطاق.. نطاق النثر الكهاني[2] وبعض الحكم أو الأمثال[3]. وفي العهد

---

(١) نقد النثر/ ٩٢ وما بعدها

(٢) كانت الكهانة شائعة في عرب الجاهلية، وكان الكهان يعتمدون فيما يخبرون على رنين السجع لزيادة التأثير في النفوس من ناحية، وإلهاء السامع فلا يفطن لأسرارهم من ناحية أخرى، إذ كانوا يدعون أن لهم رئيا من الجن يسترق لهم السمع من الملائكة، ومن ذلك حديث الكاهنة زبراء لبني رئام أعداء بني راهن: «واللوح الخافق، والليل الغاسق، والصبح الشارق، والنجم الطارق، إن شجر الوادي ليأدوا ختلاً، ويحرق أنياباً عصلا، وإن صخر الطود لينذر ثكلاً، لا تجدون عنه معلاً...».

(٣) كقولهم أعذر من أنذر، اليوم خمر وغدا أمر، الإيناس قبل الإبساس.